

(طبقاً لما يقول أرنست رينان - بحق - فالفكر القديم ليس قادراً على أن يقدم لنا شيئاً ، وأن علينا لذلك ألا نطالبه بأكثر من نفسه هو) ص ٦ .
 هذا يقدم هادي العلوي كتابه (في الدين والتراث) ^(١) ، الذي ينحو منحى صادق جلال العظم في مهاجمة الإسلام والمسلمين بصورة أكثر عرياً وأشد تبجحاً .

تقول سطوره الأولى : (مبدئياً ، ليس بين الإسلام والاستعمار تناقض ، فالاستعمار لا يحارب الأديان ، لأنها أصلاً لا تحاربه ، والإسلام كعقيدة لا شأن له مع الاستعمار ، وقد استطاع المتدينون المسلمون ورجال الدين الإسلامى ممارسة طقوسهم وواجباتهم الدينية في ظل الحكم الاستعماري بكل أشكاله : احتلال ، حكومات عميلة . . . ومن غير أن تثار في وجوههم أية مشكلة بسبب ذلك) ص ٨ .

عبارة لا يجزئ الاستعمار نفسه على أن يقولها لا بسبب الخلل في التركيب ، إذ إن عدم محاربة الاستعمار للإسلام فرضاً - لا يعنى عدم التناقض ، فقد تكون المهادنة وسيلة لتجنب صراع يسبب متاعب ما أعناه عنها ، ثم إن المصالح الاستعمارية لا يمكن بحال ألا تتعارض مع مصالح الشعوب الإسلامية ، يكفى أن يكون المستعمر دخيلاً على هذه الشعوب ، يشاركها قوتها ، ويهدد مسيرتها ، ولقد

(١) دار الطليعة بيروت سنة ١٩٧٣

حارب الإنجليز بعضهم بعضاً على الأرض الأمريكية لمجرد أن بعضهم سبق إلى هذه الأرض واستأثر بها . . . هذا . . . وإن تاريخ الاستعمار في أفريقيا وآسيا يمثل حربة مستمرة ضد الإسلام ، وضد اللغة العربية ، بصورة ضارية ، ومن يقرأ العناوين الرئيسية - دون أن يقلب في صفحات التاريخ الأسود الطويل - يتعرف إلى ما صنعت فرنسا بالإسلام واللغة العربية في الجزائر والمغرب وتونس وموريتانيا ومالي وتشاد والنيجر وغينيا والسنغال والصومال (الفرنسي) وسوريا ولبنان ، ويتعرف إلى ما صنعت إيطاليا بليبيا والصومال (الإيطالي) وإرتريا ، ويتعرف إلى ما صنعت إنجلترا في مصر والسودان وفلسطين والعراق واليمن وفي الهند وأفغانستان وإيران ونيجيريا وغانا وتنجانيقا وزنجبار ويتعرف إلى ما صنعت هولندا بأندونيسيا وساحل الخليج العربي وشرق أفريقيا ، ويتعرف إلى ما صنعت روسيا بالشعوب الإسلامية . من الخزر والترك والفرس والأرمن ، الذين ضمتهم إلى الاتحاد السوفيتي واستنزفت عقديتهم ودماءهم وأموالهم . . . ولا يخفى ما تحدثه الآن في أفغانستان واليمن وإرتريا والصومال وسوريا ولبنان وتشاد .

ولقد استدرك الكاتب خطأه ، في هذا التعبير . فقال (والكلام بلا فواصل) :

(ولكن الاستعمار وجد نفسه أكثر من مرة أمام مجابهة ترتدى ثوباً إسلامياً ، كما حصل - على سبيل المثال - في حركة الجامعة الإسلامية التي نادى بها جمال الدين الأفغاني ، وفي حركات التحرر الوطني في المغرب العربي ، حيث ارتبط النضال ضد الاستعمار الفرنسي ببقايا ثقافة إسلامية رافقت وعززت الأهداف الوطنية والقومية لكفاح المغاربة ، وأخيراً في ثورة العشرين العراقية ، التي قادها رجاء الدين الشيعة (!!) ضد الاحتلال الإنجليزي للعراق ، في معالجة أزمات كهذه كان الاستعمار مضطراً إلى شن هجوم أيديولوجي ضد الإسلام ، ووسيلته إلى ذلك هي التبشير والمحتوى الثقافي لتبشير ديني بحت ، يشرح مزايا المسيحية والمسيحيين ،

ومساوئ الإسلام والمسلمين ، هادفاً إلى زعزعة العقيدة الدينية لهؤلاء وتحويل أفكارهم باتجاه المسيحية دين المستعمر) ص ٩/٨ .

فإذا كان الأمر كذلك فقيم كانت العبارة قبل . إلا إذا كان الكاتب مدفوعاً بمقد أسود لمهاجمة الإسلام والمسلمين ، لأن العقيدة الدينية هي التي لا تزال الصخرة الصامدة في وجه المدّ السوفيتي والتعاليم الماركسية ؟

قد نجد التحركات الإسلامية اليوم عوناً من جهات غير إسلامية اعترافاً منها بقدرة العقيدة الدينية على مواجهة المدّ الإلخادي التخريبي الدموي .

ولقد تحالف من قبل الإنجليز والفرنسيون والأمريكان مع الاتحاد السوفيتي في مواجهة النازية ، وكلمة تشرشل - عن استعداداته للتحالف مع الشيطان (الروسي) للدفاع عن بلاده - مشهورة .

لكن هذا العون لا يمكن أن يحوّل التصادم (إلى نوع من الوفاق) يستخدم فيه الإسلام ستاراً لتنفيذ مشاريع استعمارية) ، وليس صحيحاً أنه (قد حصل مثل ذلك في السودان على يد الحركات الدينية كالمهدوية والإخوان المسلمين ، وفي الجزيرة العربية على يد أسرة آل سعود ، ومؤخراً في أندونيسيا ، ومن أبرز وأقوى أشكال التحالف ما تمخّض عن إقامة دولة الباكستان التي وضعت - منذ لحظة ميلادها - في خدمة المصالح الإنجليزية والأمريكية) ص ٩ .

إن مثل هذا القول الجزاف بعيد كل البعد عن المنطق السياسي والمنهجية العلمية ، لأن الحركة الدينية لا تنشأ على أرضها مقطوعة الصلة بالعالم ، لأنها جزء من التيارات المتصارعة على هذا الكوكب ، وكما تهبّ الرياح على مكان حين يسخن الجو أو يبرد في مكان آخر ، وتسقط السحب في غير مكان إنشائها كذلك الاتجاهات الفكرية والعقائدية تتأثر وتتحرك بحركة ما يجري في العالم ، لكنها - بقدر أصالتها وأصالته القائمين بها - لا تزيف ولا تنحرف ، وإن لبست ثياباً ملونة تفرضها طبيعة المناخ أو طبيعة اللعبة السياسية .

وإذا كان الشيخ محمد الخالصي قد أعلن (في رابعة النهار) عن (وجوب الاتفاق مع الإنجليز والأمريكان وغيرهم من مستعمري أوربا المسيحية ضد الشيوعيين ، لأن أولئك أهل كتاب وهؤلاء ملاحدة) ص ١٠ ، فإن دعوة هذا الشيخ - وهو ابن الشيخ مهدي الخالصي أحد زعماء ثورة العشرين العراقية - ضد الاستعمار الإنجليزي - إنما هي دعوة (المخالفة مع الشيطان) في مواجهة الوباء الذي يهلك الحرث والنسل .

وإذا كان الاستعمار لا يحارب الأديان كما يزعم الكاتب - ألا يستعان به ضد أعداء الدين ؟

ماذا يفعل أبناء أفغانستان اليوم إذا لم يجدوا غير العون الأمريكي ؟
إن أخطر ما تصاب به الدول (النامية) اليوم أن يبلغ بعض أبنائها الولاء لدولة أخرى حذاً التحلي عن الوطن والدين والتاريخ .

الإسلام والاستعمار الثقافي

(تتمركز الدراسات الغربية لتاريخ الإسلام حول محاولة إلغاء الوجود التاريخي للحضارة الإسلامية ، أعني سلبها تلك المساهمات الفعلية في حضارة العالم القديم ، وإنزال دورها في التاريخ الإنساني إلى مرتبة الصفر وقد نهض بهذا العبء المستشرقون) ص ١٢ .

لكن من المستشرقين من لجأ (إلى حضيض الشتم الذي يمارسه صفار الصحفيين) أمثال الأب لامانس ، ولكن هذه الطريقة (مفضوحة ومنفرة للغاية) ومنهم من أخذ منهج البحث العلمي ستاراً يعمل من ورائه على (تفرغ الظاهرة من أي محتوى إيماني يحتمل أن يكون قد حقق لها تأثيراً في مجاها الخصوص . . ويمكن أن يشار في حدود هذا المخطط إلى الكثير من كتابات كبار

المستشرقين أمثال لويس ماسنيون ، وهاملتون جب ، ومتغمري وات ، وروزنتال ، وهنرى كوربان ، فضلا عن سابقهم دى بورءوفلهوزن ، وكولدزير ، وغيرهم) ص ١٢/١٣ .

ويدعو إلى هذا الموقف (حاجة الاستعمار إلى المزيد من الأسلحة ، فى صراعه ضد الشعب العربى والشعوب الإسلامية بوجه عام ، وبحقق هذا المسمى للمستعمرين منافع استراتيجية خطيرة ، وعلى سبيل المثال : تجريد الشعوب من خصائصها القومية ، تشكيكها فى قدراتها الذاتية على التطور ، تأكيد الفلسفات العرقية ، تصوير تخلفها الحالى كما لو كان امتداداً لتاريخ طويل من التأخر والهمجية) ص ١٤ .

فإذا كان هذا هو موقف (الشوفينية الأوربية) فما عسانا نفعل لنحمى أنفسنا من هذه الأساليب الخبيثة ؟ .

يقول السيد الباحث الذى سبق أن قرر وجود وفاق بين الاستعمار والإسلام :
(لم يعد للقوى الثورية - فى منطقتنا العربية - من مبرر لابقاء علاقتها مع العقائد الدينية ، أيا كان شكلها ، إن الأيديولوجية الثورية تتعارض فى جوهرها مع الدين ، وليس للدين بدوره أن يقدم أية مساهمة فى كفاحنا الحالى ضد الاستعمار والإمبريالية) ص ١٤ .

فأين تقف هذه القوى الثورية ؟ فى صف الاستعمار الغربى الذى (يجرد الشعوب من خصائصها القومية) . وأبرز هذه الخصائص الدين واللغة والتاريخ ؟

ويقول : يجب الفصل بين الدين والتراث ، إذ (يختلف الموقف من الدين عن الموقف من التراث ، إن ثقافتنا يمكن - بل يجب - أن تستغنى عن الفكر الدينى ، ولكنها لا تستطيع الانفصال عن التراث الفكرى للإسلام) ص ١٥ .

فأين يسكن هذا (الفكر الدينى) إذا لم يكن فى (التراث الفكرى للإسلام) ؟

يقول (يؤكد لينين أن الثقافة القومية ذات طابع مزدوج ، إذ هي تتضمن بالإضافة إلى الثقافة السائدة للطبقة الاستغلالية عناصر من الثقافة الديمقراطية الاشتراكية ، ذلك لأن في كل أمة جماهير كادحة مستغلة ، ويوضح الكاتب السوفيتي فلاديمير غوريونوف - في تحليله لهذه المقولة اللينينية - أن العناصر الديمقراطية هي الجزء غير القابل للاستبعاد من التراث والذي ينبغي أخذه بالضرورة لبناء الثقافة الجديدة) ص ١٥/١٦ .

وماذا يفعل الاستعمار الغربي غير أن يركز على الجوانب (السلبية) التي تخدم أهدافه ؟

إذن . فالموقف واحد ، دون حاجة إلى منهجيات علمية ، فكل تراث فيه الطيب والحديث ، والسمين والفت ، والكلاب عادة لا تأوى إلّا إلى الجيف .
فإذا كان عند (السادة) الشيوعيين - (التفسير المادى للتاريخ هو النظام الأمثل لضمان تقييم سليم للظواهر المدروسة) ص ١٧ فإن (المنهجية الموضوعية) عند (السادة) الرأسماليين هي (النظام الأمثل لضمان تقييم سليم للظواهر المدروسة) .
فماذا نحن فاعلون ، وقد وضَعْنَا (الثوريون) بين اختيارين ترفضهما مصالحنا الحيوية ومقوماتنا القومية ؟

وإذا كانت هذه (الظاهرة التاريخية) مرتبطة خيوطها بالعقيدة الدينية ، فكراً ومناخاً وأسلوب حياة ، فكيف لمن ينكر الدين ومحاربه أن يهتدى إلى (قرار عادل جدير بالاحترام) ؟

إذا كان الباحث (يستطيع بتقييم آحادى الجانب أن يمسك بأرسطو ويطرحه في مزبلة التاريخ فيما لو أخذ بنظر الاعتبار نظرياته الفلكية ، كما يستطيع باحث آخر أن يعتبر أرسطو مادياً من الطراز الأول إذا استند إلى جوانب معينة من فلسفته الطبيعية) هامش ص ١٨ فكيف نطمئن إلى ما يفعله الشيوعيون أو الرأسماليون وهم يتوجهون إلى التراث بدوافع (سياسية استعمارية) ؟

أليس من واجبتنا أن نتوجه إلى التراث العربي الإسلامي بروح عربية إسلامية بحيث تستجيب الأصالة التاريخية للأصالة الذاتية فنكشف عن حاجتنا لتدعيم حاضرنا ومستقبلنا ؟

نحن نعييب على المستشرقين دراساتهم للأدب العربي ، لأنهم يتعاملون مع ظاهر الدلالة اللغوية دون القدرة على اكتناه موحياها فتذوق اللغة والتفاعل معها لا يتوافران بمجرد دراستها لأن للغة علاقات نفسية ذات أبعاد مختلفة ، ومن هذه العلاقات النفسية الولاء القومي : ديناً ولغة وتاريخاً وعادات وتقاليد .
ولقد تحول الولاء القومي عند الشيوعيين - للأسف - إلى ولاء مذهبي حزبي ، ومن ثم كان من اليسير على الماركسي أن يضحي بدينه ووطنه وقومه على مذبح (الشيطان الأحمر) فكيف يحكم أمثال هؤلاء في تراث (عربي إسلامي) ؟

* * *

ويقول : (يتعين أن يؤخذ بنظر الاعتبار أن تراث الإسلام لا يمثل - حتى في أقدم أدبياته : القرآن والحديث وسلوكيات وأفكار الصحابة والتابعين - موقفاً واحداً يمكن أن تتحدد خصائصه تحديداً نهائياً وقاطعاً) هامش ص ٢٢ .

وهذا القول يتردد على أقلام اليساريين وأشياعهم ، من صادق العظم إلى غالي شكرى ، ومع هذا فإن أحداً لم يسأل نفسه : هذا (الموقف الواحد) ، من أى شيء ؟ من الخالق ؟ من المخلوق ؟ من الخير ؟ من الشر ؟ من الحلال والحرام ؟ من الحقوق والواجبات ؟

هل ثمة اختلاف فيما جاء به القرآن ؟ فيما جاءت به السنة ؟ فيما بين القرآن والسنة ؟

هل قال الصحابة أو التابعون بغير ما جاء في القرآن والسنة أو بما يخالفها ؟ لو أن هؤلاء اليساريين يقرءون في أصول التشريع الإسلامي لكان لهم أن يضعوا أيديهم على مكان الداء ، فيحق لهم أن يتاجروا بها . . أما أن يقف الأمر

عند مجرد الافتراءات المطلقة ، فهذا ما لا ينبغي الالتفات إليه .
والسيد الكاتب نفسه يعترف بأن المنابع التي يهلون منها ، ثم يتقنون ما يهلون
ليست صالحة للأخذ بها ، لأن (المعالجات الماركسية للتراث الإسلامى تواجه
معضلتين ، أولاها : عدم الإحاطة بالظواهر المدروسة ، تلك المشكلة اللازمة
لأكثر المستشرقين ولكتير من الكتاب العرب أيضًا ، ولا عذر للباحث فى التمسك
باستقراء ناقص يستند إليه تصوره لأية ظاهرة يدرسها . والثانية : ترتب على
الامتدادات المعاصرة لحضارة الإسلام ، من جهة ارتباطها بالدين) ص ٢٢/٢٣ .
فإذا كانت الحضارة الإسلامية مرتبطة بالدين على امتداد التاريخ الإسلامى إلى
اليوم ، وإذا كانت (المعالجات الماركسية لا تملك الإحاطة بالظواهر المدروسة) ،
فكيف نجروا على أن تصدر أحكاماً مطلقة ، ترددها أبواق صماء ، لا تملك القدرة
على المناقشة والمراجعة ؟ .

تشريع الاستبداد . ونشوء البيروقراطية فى الإسلام .

تحت هذا العنوان المثير يقول :

(كانت الشريعة هى الدستور المرعى للدولة . فى زمن النبى محمد والخلفاء
الراشدين ، مع فترة استثنائية من ثلاث سنوات ، تستغرق حكم عمر بن
عبد العزيز ، فى هذا العقد كانت أعمال الخلفاء مقيدة بأحكام الكتاب والسنة ،
وما أدى إليه اجتهادهم فى الأمور المسكوت عنها فى هذين الأصلين) ص ٢٨ فمن
أين جاء الاستبداد فى التشريع إذن ؟

يقول : (إن الدولة الإسلامية استمرت تحكم بلا دستور ابتداءً من معاوية
حتى سقوط الخلافة العباسية) ص ٣٠ .

وعلى هذا ، فالذنب ذنب حكام بنى أمية وبنى العباس ، وليس ذنب
الدستور ، لكنه يقيم الحجة على الشريعة ، بأن (السلطة كانت فى ممارستها لهذه

السياسة في حاجة إلى مرتكز أيديولوجي ، وقد وفرت المبادئ الدينية مادة كافية لهذا الغرض (ص ٣٥ .

وفي بحثه خلف هذا (المرتكز الأيديولوجي) يذكر أن عبد الله بن عمر (اختط لنفسه موقفاً من السلطة يقضى بطاعة كل خليفة) ، وأنه قال (لا أقاتل في الفتنة وأصلى وراء غالب) ص ٣٦ وأن الحسن البصري أفقأ بأن (أفعال المستبدين قد تكون عقوبة من الله على عصيان الناس لأوامره وقد تكون بلاء منه يمتحن به العباد) ص ٣٨ وأن هذه الفتوى كانت (لمنع الانتفاضة المسلحة التي كان العراقيون ينوون القيام بها ضد الحجاج ، والتي عرفت في التاريخ باسم حركة ابن الأشعث ، وكان الحسن البصري معادياً للحجاج والأمويين ، ولكنه ضد المعارضة المسلحة) ص ٣٨ .

أى أن المآخذ على موقف الرجلين بسبب المسألة حفاظاً على الصف الإسلامي ، في وقت انتشرت فيه الفتن ، وقاتل المسلمون بعضهم بعضاً . ولو أن هذا الموقف مدان ، لأنه يحاول إطفاء الحريق ، بدلا من أن يمددها بالوقود ، فما ذنب الشريعة ؟

يقول : (من الجدير بالملاحظة أن عقيدة الجبر مستمدة أصلاً من القرآن ، وتوجد آيات تنص على الإرادة الحرة للخالق وتدخله المباشر في تعيين الرزق والعمر ، بل وسائر الأحداث في المجتمع والطبيعة) ص ٣٩ وكذلك الحال بالنسبة للقدورية ، فهم يجدون في القرآن آيات (تنص على الإرادة الحرة) للإنسان وأنه مسئول عن عمله (كل نفس بما كسبت رهينة) (يوم نحز كل نفس بما كسبت) . . (من عمل صالحاً فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد) .

رصيد موفور من الآيات الكريمة تحدد مسؤولية الإنسان ، وتدعوه إلى أن يسعى ويمشي في مناكب الأرض ، طلباً للرزق ، وأن يجاهد في سبيل الله - إلى جوار

تحقق الإرادة الإلهية ، وقد عالج القدرية والأشاعة ، في كتبهم الكثيرة ، موضوع الكسب والاكْتساب الجبر والاختيار علاجاً فلسفياً رائعاً ، سبقت الإشارة إليه (ص ٧٦ وما بعدها) خلال مناقشة أوهام الدكتور تيرنبي .

على أن (من المدهش أن تقرن هذه العقيدة عقيدة الجبر بمستوى رفيع من الاندفاع في العمل من أجل الدعوة . . ويستخلص بليحانوف من هذا الوجه دليلاً على أن الجبرية قد تلعب دوراً إيجابياً في التاريخ) ص ٣٩/٤٠ . لأن هذا المذهب ليس أساسه السلبية أو التواكلية ، وإنما أساسه تنزيه الله عن أن يشاركه في ملكه أحد ، أو مرد الأمر إلى الله ، تأديباً وتعظيماً لأن (يده ملكوت كل شيء) . هذا إلى أن (شيوع الجبرية قد أدى أحياناً إلى اعتناقها كعقيدة فلسفية دون أن تعنى بالضرورة مساندة السلطة) هامش ص ٤١ . وإذا كان أحمد بن حنبل قد رفض (مقاطعة المأمون وخلفائه برغم تبنيهم للهرطقة المعتزلية) ص ٤١ فإنه رفض الاستجابة لإرادة المأمون والمعتصم من بعده أن يقول بخُلُق القرآن ، واحتمل محنة التعذيب والسجن .

وإذا كانت (العقيدة الشيعية بفرعها الإمامي والإسماعيلي تظهر الخلافة كما لو كانت جزءاً من الوحي الإلهي ، ويعتبر وجود الأئمة الشيعة من هذه الناحية استمراراً للنبوّة) ص ٤٣ ، فهذا شأن الشيعة فيما يذهبون ، ولا علاقة لهذه المزايع بالتشريع الإسلامي ، وسواء كان مرد هذه المزايع إلى دسائس اليهودي عبد الله بن سبأ وشيعته ، أو هي من صنع الانتكاسات التي مئى بها الشيعة الإمامية والإسماعيلية ، فإن مثل هذا الضلال يحدث إلى الآن ، فما يزال المتسلقون يبالغون في تعظيم ذوى السلطان ، ويجعلون منهم هياكل مقدسة ، يستوى في ذلك المعز لدين الله الذي قال فيه ابن هاني الأندلسي :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فانت الواحد القهار

وجوزيف ستالين الذى كتب فى نعيه أحد المتطلعين إلى الرعاية مقالاً يقول :
(مات نبي الله ستالين) .

* * *

هذا عن الاستبداد ، أما عن البيروقراطية فقد نبتت جذورها فى عهد عمر بن الخطاب ، إذ (وصف عمر نفسه بأنه كان شديداً مهيباً ، وكان الناس إذا أرادوا أن يكلموه فى حاجة وسطوا عبد الرحمن بن عوف لاختصاصه به ، ولكن عمر لم ينزل عن جمهوره وقد أبدى تخوفه من أن ينزل الولاة فكان يشترط عليهم ألا يتخذوا حاجباً) ص ٤٤ .

فما ذنب عمر إذا كان مهيباً ؟ وهو القائل : (إن رأيتونى على حق فأعينونى ، وإن رأيتونى على باطل فسدونى) ، فلما قال أحدهم : (والله لورأينا فبك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا) حمد عمر الله لأنه وجد فى أمة محمد من يقومه بسيفه .
وحين راجعته امرأة - وهو على المنبر - فى أمر المهور ، قال أصابت امرأة وأخطأ عمر . .

فن أى طريق يصل هذا (العلوى) إلى مثالية عمر ؟
يقول : (وفى الطبرى نص كتاب أرسله عمر إلى أبى موسى الأشعرى ، أحد ولاته على البصرة ، يقول فيه : ه إنه لم يزل للناس وجوه يرفعون حوائجهم فأكرم من قبلك وجوه الناس ومحسب المسلم الضعيف من العدل أن ينصف فى الحكم وفى القسم) ص ٤٥ .

ومن أجل أن الناس فى المجتمع القبل وفى أى مجتمع يستعينون بغيرهم فى رفع حوائجهم تصح (هذه التوصية نذيراً بإنهاء الصلة المباشرة بين السلطة والجمهور) ص ٤ ، كأن على عمر أن يوصى بالضرب على أيدي وجوه الناس الذين يؤدون خدمات اجتماعية ، أو بالضرب على أيدي من يستعينون بهم . . وهذا (الهادى العلوى) يعلم ماذا يحدث فى مجتمع الحزب الواحد ، إذ يتوقف قضاء

الحاجات على رجال الحرب ، أو من يلوذون بهم لكنه (الأفن) الذى يعيب (امتناع الخلفاء الراشدين عن اتخاذ الحرم الخاص ، برغم الإشارة عليهم به لأغراض الصيانة) بأنه (تصرف ينطوى على السذاجة) ص ٤٦ ، فإذا أقام معاوية الحرم الخاص والبوايين أتهمه بالاستبداد والانعزال عن الشعب ص ٣١ ، فأين الصواب يا ترى ؟ .

وبعد أن يبالغ فى اتهام الحكم الأموى (بالجبرية والخيلاء) ص ٤٦ يقول : (إن الخليفة الأموى حافظ - مع شرارسته وعنفه - على البساطة فى شكيلات السلطة ، باتجاه يعكس قرب الصلة بالبدواة ، طبقاً لنظرية ابن خلدون) ص ٤٧ .

ولما كان العباسيون قد وصلوا إلى الحكم عن طريق السيف ، ولما كانت هناك عناصر كثيرة تعمل ضدهم فى الخفاء وفى الجهر ، ولما كانت النظم الفارسية قد أخذت طريقها إلى جهاز الدولة ، سياسياً وإدارياً ، فقد حق لأبى حيان التوحيدي أن يقارن (بين هذا الأسلوب وأسلوب الناس فى مخاطبة ربهم ، فيلاحظ أن الناس يتجرءون على مخاطبة الأخير (!!) مباشرة ، مستعملين ضمير المخاطب ، فى حين لا يستطيعون ذلك مع رجال الدولة) ص ٤٩ . مع ملاحظة أن التوحيدي ذكر ذلك فى (مثالب الوزيرين) ^(١) ، ومع ملاحظة أن حكام الكرملين - شأنهم شأن جميع حكام العالم - لا يتحركون إلا ومن حولهم جيش من الحرم الخاص العلنى ، والسرى ، فضلاً عن رجال الأمن المركزى ، ورجال الأمن العام . ومباحث أسن الدولة ، إلى آخر هذه الأجهزة التى شكلت فى الدرجة الأولى لحماية الحكام على حساب الكادحين البروليتاريين !!

(١) كتاب فى تعدد مثالب الوزيرين : الصحاح بن عباد وابن العبد - حققه ونشره إبراهيم انكيلاوى دمشق سنة ١٩٦١

محرم كثر الأموال . . أسراره ومعلقاته . .

يتناول الآية الكريمة (٢١٩) من سورة البقرة :

(ويسألونك ماذا ينفقون ؟ قل : العفو)

والآيتين الكريمتين (٣٤ - ٣٥) من سورة التوبة :

(والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب

أليم ، يوم يُخَمَّى عليها في نار جهنم ، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنتم لأنفسكم ، فذوقوا ما كنتم تكزون) .

ويورد ما قيل في تفسير الآيتين ، ثم يقول : (إن المفسرين الذين قالوا بالنص

على حرمة التملك في آيتي العفو والكثرة يجمعون على أن هذا الحكم أبطل بعد أن

شرعت الزكاة ، والظاهر من الروايات أن الزكاة شرعت حلا للخلاف الناشئ من

استئصال بعض الصحابة لتحريم الكثرة ، ولا يخفى العديد من الصحابة والمفسرين

ارتياحهم للنسخ ، وإعجابهم بالزكاة التي طهرت أموال المسلمين وحررتها من

القيود) ص ٦٥/٦٦ .

ثم يصور موقف الصحابة من إنفاق ما زاد عن الحاجة ، والأخذ بالزكاة على

شكل فريقين ، فريق على رأسه عثمان بن عفان ، الذي يمثل الأغنياء وفريق على

رأسه علي بن أبي طالب الذي يمثل الفقراء .

فالفريق الأول يناصر الزكاة ، بموجب الآية الكريمة (١٠٣) من سورة

التوبة : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) ، وفي سبيل ذلك عمد إلى

الادعاء بنسخ آيتي العفو والكثرة ، ولا أدري إن كان من قبيل المصادفات أن يتخذ

عثمان قراره المشهور بجمع القرآن بتحرير نسخة معتمدة منه ، واتلاف جميع النسخ

المتداولة ، حتى ذلك الوقت . . وقد انتهزت هذه الفرصة لتحريف آية الكثرة ، حتى

تطابق التأويل المقصود ، ولعل مما شجع عليه أنه لا يتطلب سوى حذف حرف واحد من الآية ، وقد نقل السيوطي في « الدر المنثور » عن ابن الصريس « أنهم - لما أراد عثمان أن يكتبوا المصاحف . . أرادوا أن يلغوا الواو التي في « براءة » والذين يكتزون الذهب والفضة . . فاعترضهم أبي بن كعب ، وقال : لنلحقها أو لأضعن سيفي على عاتق ، فألحقوها ، وأبى من المالكين لعل ، وكان عضواً في لجنة جمع القرآن ، لكونه أحد القراء المعتمدين) . ص ٦٩ / ٧٠ .

والغاء الواو يؤدي إلى أن يصبح (الذين يكتزون الذهب والفضة) صفة للأخبار والرهبان في الآية السابقة ، وهذا يكون فريق الأغنياء حاول العبث بالقرآن من أجل إباحة الكثر .

ولنا في حاجة إلى ذكر وقائع جمع القرآن ، فبين أيدي القراء كتب كثيرة قديمة وحديثة تناول هذا الأمر بالتفصيل .

ونكتي بقول الكاتب الألمي ، معلقاً على هذا (التآمر) بأنه (كان مقدراً له الفشل حتى ولو لم يضع أبي سيفه على عاتقه ، لأن القرآن أحيط بحصانة شديدة ضد التحريف ، إذ كان معظم الصحابة يحفظونه عن ظهر قلب) ص ٧١ .

وكانه قد غاب عن عثمان بن عفان - وهو من الحفظة - (أن الصحابة يحفظونه عن ظهر قلب) ، ومن محفوظاتهم قول الله تعالى : (إِنَّا نَحْنُ الذَّكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) ، وقوله جل شأنه (إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) . . ثم إن اللجنة التي شكلت لكتابة المصحف العثماني كانت من زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد ابن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وقد تقتصر الروايات على زيد وسعيد ، ولم يشترك أبي بن كعب إلا في اللجنة التي قامت بجمع المصحف وكتابته في عهد أبي بكر ، ولقد كان زيد ثابت عضواً في اللجنتين ، وكانت مهمة اللجنة الثانية كتابة عدة نسخ من المصحف الذي جمع في عهد أبي بكر ، فمن أين جاءت

هذه الأوهام^(١) ١٩

أليست هذه (تنويرات) على دعاوى الشيعة أن عثمان حذف أكثر من ثلث القرآن في حق علي والأئمة من بعده ، دون توفر وتورع لدور هذا الصحابي الجليل في نشر الدعوة الإسلامية وهو من العشرة المبشرين بالجنة ؟

(إن وجود نص في الكتاب لتنظيم أحكام الميراث يفترض بالضرورة وجود المال الذي يورث وهذه لمن الحجج البالغة التي تؤكد ما سبق القول فيه من إلغاء تحريم الكثر وإباحة تملك المال) ص ٧١ ، بل (إن المقصود بكثر الأموال هو تجميعها ، والامتناع عن استثمارها) ، لأن (هذا التصرف يؤدي إلى حرمان المجتمع من ثروة يمكن أن تزيد في قدراته الاقتصادية) ص ٧١ ، وفي هذا يقول الزمخشري : (إن الله أعدل وأكرم من أن يجمع عبده ما لا ، من حيث أذن له فيه ، ويؤدي عنه ما وجب ، ثم يعاقبه عليه) . ص ٧٤ .

إذن فالجمع بين آيات العفو والكثر والزكاة قائم على تنظيم التصرف في المال ، إيجاباً وندباً لصالح المجتمع ، وتقرباً إلى الله ، ومن ثم لا يكون تعارض ولا يكون نسخ .

والفريق الثاني يتمثل في ثورة أبي ذر على البذخ والإسراف ، بعد اتساع الفتوحات وكثرة الفئء ، وهي ثورة ارتبطت بالغيرة على المجتمع الإسلامي ، وبالخوف من غواية المال ، كما ارتبطت بطبيعة تكوين أبي ذر ، إذ كان متصلاً بكمالات قبل الإسلام ، وكان من أوائل الذين دخلوا في الدين ليواجه السلطة القرشية المستبدة بما لها ، فقد تمرد على هذه السلطة قبل الإسلام وأراد أن يتحداها بالإسلام وبمجموعة المسلمين الكادحين ، أمثال عمار بن ياسر وأبيه ، وبلال ، وصهيب ،

(١) يراجع في ذلك كتاب (تاريخ القرآن) للدكتور عبد الصبور شاهين - دار الكتاب العربي - القاهرة - سنة ١٩٦٦

وعامر بن فهيرة ، وزيد بن حارثة ، وخباب بن الأرت ، ولهذا (رفض أن يستفيد من الفرص التي أتاحها الفتح للصحابة ، وقد واصل معيشته البسيطة ومناوآته لأشراف قريش ، دون تفريق بين من أسلم منهم ومن لم يسلم) ص ٧٧ وهذا لا يمثل التزاماً بالمبادئ الإسلامية بقدر الالتزام بموقف ذاتي لا يملك معه أن يستجيب لمقتضيات الحياة الجديدة .

ولا شك في أننا نختلف في تقدير هذا الموقف والإعجاب به ، وفي النظر إلى صاحبه نظرة عطف وإشفاق ، وبخاصة أن غيره من الفقراء تغيرت بهم الحال ، وتمتعوا بالطيبات من الرزق .

لكن (هادي العلوي) يريد أن يشكل من أبي ذر فريقاً يرأسه الإمام علي في مواجهة (التيار الجديد) .

(إن تحريم الكثر كما بُنيت دراستنا يبدأ من آتبي العفو والكثر ، أي في عهد محمد ، ومن هنا فالمشكلة ليست من صنع أبي ذر ، وإنما هي بالأحرى من صنع الكتلة التي ينتمى إليها أبو ذر ، وبتزعمها علي بن أبي طالب) ص ٨٤ .

ويتساءل (عن السرفي أن أبا ذر هو الذي تولى إثارة هذه المشكلة في عهد عثمان ، وليس علي بن أبي طالب الذي كان أبو ذر يعمل تحت لوائه) .

ويجيب بأن (الظروف المحيطة بعلي بن أبي طالب لم تهيئ له مجابهة صريحة ضد الخليفة الثالث . . وأنه أرسل ولديه الحسن والحسين ، وأمرهما بالدفاع عن عثمان لِمَا حُوصِرَ في داره ، مناورة أراد بها دفع التهمة عن نفسه ، ومن هنا كان يجب أن يتصدر المجابهة شخص آخر يمثلها فيها ، ويتحمل مسئوليتها عنه) ص ٨٥ .

وتتساءل نحن : ماذا فعلت بقية (الكتلة) التي كان ينتمى إليها أبو ذر ؟ ولماذا كان علي بن أبي طالب زعيم الكتلة (مالكاً لأرض زراعية ، ونقد يُعدّ بعشرات الألوف) ؟ ص ٨٧ .

وإذا كان أبو ذر قد نشأ فقيراً ، وعاش فقيراً ، ومات فقيراً ، والترم بنص تحريم

الكتر ، فإ الحاجة إلى أن يلقي (الفقر) عن مزدك ، سواء جاء هذا القول عن الأستاذ أحمد أمين أو عن غيره ؟ .

وهل مجرد أن يكون (سلمان) فارسياً ، وكان اسمه روزبة بن خشنودان ، أن يصبح حاملاً لجرثومة المزدكية - فلماذا إذن لم يقيم بدور أبي ذر ، أو بالوقوف إلى جانبه ؟ .

يقول هادي العلوي ، رواية عن أم المؤمنين عائشة : (كان لسلمان مجلس من رسول الله ، بنفرد به في الليل ، حتى كان يغلبنا على رسول الله) ، فلماذا كانا يفعلان في هذه الجلسة الخاصة ؟

يقول : (لابد أن يثير هذا المجلس الليلي الاعتقاد بأن محمداً كان يتلقى من روزبة أموراً خاصة تتعلق بمسيرة الدعوة على صعيد معين . . ومن المرجح أن تحرم كثر الأموال الذي كان يعنى ضربة مباشرة ونافذة ضد الأرستقراطية ، هو أحد أبرز علامات هذا التأثير) ص ٧٩/٨٠ .

يقصد أن آية الكثر إنما هي من تأثير الأفكار المزدكية التي نقلها سلمان إلى (محمد) ومن ثم فالقرآن ليس من صناعة محمد وحده ، وإنما شاركه في تأليفه غيره (!!)

وقد يرد سؤال حول آيات الزكاة والموارث لكن الأمر قد خرج عن دائرة السؤال والجواب !!

الفكر العربي من وجهة نظر استشراقية . .

هاملتون جب أصدر كتاباً بعنوان (المدخل في الأدب العربي) ترجمة كاظم سعد الدين ، (والكتاب مكرس للأدب العربي في أعم فروعه) ، وقد جاء في الصفحة ٦٣ :

(يعتقد المسلمون أن القرآن كلام الله الذي أوحاه إلى محمد . . غير أن الطالب

الغري المدرك أن القرآن من عمل محمد يجد كثيراً من أهميته في الطريقة التي يكشف بها القرآن التطور التاريخي لشخصية خلافة . . الخ) ص ٩٣ .

وقد آثرت هذه العبارة هادي العلوي ، لا لأن (جب) تحدث عن الرسول محمد بغير صفة الرسالة ، ولا لأنه تناول القرآن على أنه من عمل (محمد) ومن ثم فهو يعبر عن التطور التدريجي (لشخصية) صاحبه - بل ما أثاره هو (تلك الصورة التي ترسمها لعقليتين متقابلتين : عقلية المسلمين الدينية ، وعقلية الباحث الغربي العلمانية .

إن مثل هذا التقابل ينطوي على قدر كبير من الافتعال . فكون الباحث غريباً لا يعنى بالضرورة أنه يفكر تفكيراً علمانياً .

إن هذا الباحث الذي يقول ما قال عن القرآن قد يظل عاجزاً عن إدراك أن أسطورة التكوين مثلاً من عمل موسى ، أو أن العهد الجديد من تلفيقات الرسل ، ولأمسك عنان القلم حذراً من سوء الفهم .

إن اللاهوت - عدَّ عن السحر والشعوذة والكهانة - قد لقي ويلقى في الفكر الغربي القديم والمعاصر عناية ، إن لم ترد على ما لقيه عند الشرقيين فإنها على الأقل تضاهيه ، فثلاً يحتاج الإنسان إلى العلم لكي يتقدم ، يحتاج إلى الحرافة لكي يمارس الاستغلال والنهب والسيطرة على غيره . . ولم يتوقف هذا التلازم إلا مؤخراً ، وعلى حدود المجتمعات التي أسعفها الحظ فاتخذت من الاشتراكية نظام حياتها (!!) .

فن المعلوم أن الحضارة الإسلامية لم تقتصر على النشاط الديني ، وإنما شملت تصارعات الفكر الإنساني باتساعه الذي بلغه في تلك الحقبة (ص ٩٤/٩٣ . إذن (يحسن صوغ العبارة موضوع البحث على الشكل الآتي :

« إن المسلمين - المتمسكين بعقيدتهم الدينية - يعتقدون المسألة الفلانية ، ولكن الباحث العلمي يرى خلاف ذلك » ص ٩٥ .

وهذا لا تشمل العبارة أمثال الباحثين العلمانيين ، أمثال هادى العلوى ،
ولا اضطر إلى أن يطالب برد شرفه .

أما أن يستمر (جب) في وصف الأسلوب القرآنى - شكلاً ومضموناً - بأنه
(يعبر عن آراء محمد الشرعية والفلسفية بعبارات من الحدث والوصف الرمزيين) ،
وأنه (أنجزت شخصياً للغاية جديداً متميزاً)^(١) فهذا لا يحتاج من الكاتب الذى
يعلم عن (شيعة) إلى مناقشة ، أما ما يحس (شيوعته) فهذا هو العار والشار .

من فصول المسرح اللينى فى الوطن العربى :

تحت هذا العنوان يتحدث عن مآخذ مختلفة على ألوان من النشاط الدينى ،
أكتفى بعرض أفكاره ، دون حاجة إلى تعليق .

١ - (أقيمت مؤسسات ونفذت مشاريع تهدف إلى تدين المجتمع العربى ، على
حساب الأهداف الملحة التى تطرحها الحياة بلا توقف) ص ١١٠ .

(إن هذه الأجهزة الحيوية التى تضم الإذاعة والتلفزيون والسينما تفرض ضغطاً
دينياً متزايداً على رأى العام فى الوطن العربى ، وقد تبوأَت السينما والتلفزيون
المصريان مركزاً قيادياً فى هذه الممعة شأنها فى معامع الغناء والرقص الشرقى
والأفلام السينمائية السيئة الصيت ، فنذأوائل الستينات ، والجبهات المعنية فى مصر
تنتج المزيد من الأفلام والمسلسلات الإذاعية والتلفزيونية ذات المحتوى الدينى
إضافة إلى ما كانت تنتجه فى السابق من الأغاني الدينية والأدعية والتواشيح وتغذى
بها أجهزة الإعلام ودور السينما العربية والأجنبية .

ويتدرع مهتمو هذه المشاريع بحجة إثارة الهمم ، والتذكير بالأجداد أما فى
الواقع فلأنها موجهة للتذكير بالمفهوم الدينى للأحداث ، بعيداً عن أى مغزى

(١) انظر الكتاب المذكور - طبعة بغداد - سنة ١٩٦٩ - ص ٣٧ / ٣٨ .

اجتماعى يمكن للمؤرخ أن يستخلص من بين الشعارات الدينية البالغة التطرف (ص ١١١/١١٢).

٢ - (تتفق الأنظمة العربية على جعل الدين مادة أساسية للدراسة في المراحل السابقة للتعليم الجامعى ، وتطغى على مناهج الدراسة الدينية في هذه المراحل نبرة وعظمية باردة ، وفكر غيبى يتجافى بشكل مؤسف مع روح العصر) ص ١١٦ .
٣ - (إن نظرة سريعة على هذا العصر ترينا أن الدول التى حافظت على تواصلها مع الدين لا تخرج عن إحدى صفتين :

(١) دول تستخدم الدين لغايات أيديولوجية أحوج إليها الصراع ضد الطبقات المحكومة .

(ب) دول متخلفة تسمى على سبيل المثال دولاً نامية .

وقد أرجع هيجل أسس الدين إلى الشعور بالعجز عن تصور المثل الأعلى في الوجود (!!).

وفي ضوء هذه الحقيقة فقد يغدو من السهل أن ندرك لماذا كان النشاط الدينى في الدول العربية مثلاً أكثر ابتداءً مما هو في دول أوروبا الرأسمالية أو في الولايات المتحدة . إنه يرجع في الأرجح إلى الفارق الحضارى بيننا وبينهم .
ويجد المجتمع المتقدم عملياً وتقنياً حلولاً للكثير من المشكلات التى يقف الإنسان البدائى أمامها مبهوئاً ، فيلجأ في تحليلها أو في مواجهة أخطارها إلى الدين (ص ١٢٥/١٢٧).

٤ - (السيد البزدي هو أكبر مجتهد شيعى في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين ، وتعد كبه مصدراً رئيسياً للدراسات الفقهية والكلامية في الوقت الحاضر) ، ومع هذا (كان يتولى بنفسه تنشئة كوادرن كبار الموظفين أو العسكريين الإنجليز تكون مؤهلة للعمل في العراق أو البلاد العربية والإسلامية الأخرى) (١٣٢/١٣٣).

٥ - (آية الله الشيرازي ، وهو من علماء الدين في كربلاء ، لديه رسالة فقهية بعنوان « أحكام الإسلام » طبعت مؤخرًا وقد جاء فيها في باب أحكام الصلاة : إن الصلاة لا تصح في مكانين هما :
(١) الأراضي التي استولى عليها الإصلاح الزراعي بعد أن كانت في حوزة الإقطاعيين .

(ب) المعامل التي أتمتها الحكومة) ص ١٣٤ .
٦ - يقول الغزالي : (ليس الغرض بناء مسجد في كل سكة والفقراء محتاجون) ، ومع هذا يتبارى المسلمون في بناء المساجد .
و (اقترنت بعض المساجد بفصائح مالية ، كالمسجد الذي ببنى في عهد حكومة عارف في العراق ، واستمر بناؤه أكثر من سبع سنوات ، أما مساجد الشيعة - وتسمى حسينات - فيبنيها التجار الذين يهبون الناس في النهار ، ويكون على الحسين في الليل) ص ١٣٧/١٣٨ .

» » »

وبالإضافة إلى هذا هاجم الطقوس التي تجري في المناسبات الدينية المختلفة وبخاصة ما يتصل بالشيعة منها في المحرم وصفر ، كما هاجم إدارة الأوقاف الإسلامية والمحاكم الشرعية .